حول أبجدية عربية صالحة

للدكتور أحمد سعيدان
(عضو المجمع)

ما فتىء مجمع اللغة العربية الاردني ، منذ تاسيسه ، في شغل شاغل : يتلقى مصطلحات المصارف، والمحاسبة، والاقتصاد، والعسكرية، والارصاد الجوية، والتعليم الصناعي والزراعي والتجاري ... فينشىء اللجان المتخصصة لتمحيصها وتصحيحها ، كي تعرض على المجمع لاقرارها او تعديلها . هذا بالاضافة الى ما يترجم او يعرب من مصطلحات علمية وتقنية ، وبالاضافة الى ما يقوم على نقله الى العربية من كتب علمية جامعية .

ان مجمعنا يخوض معركة ، اعضاؤه فيها رفاق سلاح ، وفي خضمّ هذه المعركة احبّ ان اتصور ان ما ينتجه هذا المجمع الناشىء انما هو اول الغيث : قطر ثم ينهمر ، او هو باكورة انتاج غزير يتميز كمًّا ونوعا ، ويؤتي اكله دفعا للعربية الى صف اللغات العلمية الحية . واحب ان اتصور ان الترجمة والتعريب والاستعارة والاقتباس ونحت الالفاظ وابتكار التعبيرات ستمضي قدما من اجل ان يطلع علينا عصر نهضة فكرية زاهر . احلام يقظة اغرق فيها فيوقظني من حلمي اللذيذ تصور الابجدية العربية ...

نقول للمطبعة : نريد ان يكون الكتاب العربي بمثل حجم الكتاب الانكليزي الذي تُرجِم عنه ؛ فيقول لنا الطابع : لا يمكن الا اذا صغّرنا الحروف الى حد لا يفرّق بين النون والتاء ، ولا بين الباء والياء .

ونقول للزملاء في لجـــان المصطلحات : نُعَرِّب ، فيقولون : اجـــل ، ولكن لفظة سزموجراف : هـــل نكتبها بالجيم أم بالكاف أم بالغين ؟ وهـــل نضع واوا بعد الميم ؟ ويـــاء بعد السين ؟ ومشكلة تشكيل الحـــروف معروفة ، ومشكلة الهمـــزة معروفة ، ومشاكل الابجديـــة بمجموعها طُرحت منذ نصف قرن ، ومـــا تزال تُطرَح ، واقتُرحَت لهـــا حلـــول ، وحلول ما تزال تُقتَرَح . وقـــد وُضِع بعض هذه الحلول موضع التنفيذ ، فخَفَّف حدّة هذه المشاكل ، ولكـــن معظم الحلول قـــد رُفِض ، لانها لم تعالج جذور المشكلة ، او لـــم تكن حلولا تتمشى مـــع الاعتبارات الواقعية الموضوعية . فما دامت المشكلة مـــا تزال قائمة ، ومـــا دامت تجابه مجمعنا ، فلن يضير احـــدا ان اطرح على صفحات مجلـــة المجمـــع الناشئة حلاً جديدا عساه يحلّ بعض جوانـــب المشكلة ، او يكون خطوة صوب حـــل اشمل واكمل .

وابـــادر الى القول بأن الخـــط العربي بذاته لا عيب فيه ، فهو في الماضي قد وصل الى حـــد من الابداع جعل الكتابة العربية في قمـــة الفنون الجمالية الرقيقة ، وهـــو في الحاضر ضرب من الاختزال لا يخلـــو من فائدة ومزايـــا .

ولكـــن المشكلة انّ تطور الخـــط العربي مَـــرّ بجميع مراحله ، يـــوم كانت الكتابة يدويـــة ، ثم هو توقف عن التطور فلم يواكب حاجات الطباعة والكتابة الآليـــة ، اللتين هما اليـــوم من لوازم الحضـــارة . والطباعة والكتابة الآليـــة (اعني الآلة الكاتبة) تقتضيان اولاً اقلّ عـــدد ممكن من اشكال الحروف ، وثانيـــا ان تكون هذه الاشكال واضحـــة متميزة بعضها عن بعض بيسر ، بعيدة عـــن مجال اللبس والابهام .

فالابجديـــة العربية تضم في الواقع ٢٨ حرفـــا ، ولكن لكل حرف عـــدة اشكال ، فهو منفصلا غَيْرُه متّصلا ؛ وهـــو في اول الكلمة غيره في وسطها او آخرها ؛ هـــذا بالاضافة الى ان بعض الحروف يتغـــير شكلها حسب الحرف الذي يتصل بها او تتصل بـــه . وتقدر الاشكال المختلفـــة

للحروف العربية بأربعمئة وخمسين شكلا . ثم أن بعض هذه الحروف متشابهة،نفرّق بينها بنقاط ، كالباء والتاء والثاء والنون والياء ، وكالسين والشين ، والعين والغين ، والصاد والضاد ، والطاء والظاء .

اضف الى ذلك ان لبعض الحروف اسنانا تزيد من اللبس اذا انبرت ، وقد حافظت الحروف المطبوعة على هذه الاسنان ، رغم أنها تطورت في الكتابة اليدوية .

فاذا ذكرنا أن بعض الحروف المتصلة تكاد تكون قاصرة على سن ، فوقه او تحته نقطة او اكثر ، ادركنا احد الاسباب التي من اجلها قلّما نجد كتابا عربيا يخلو من اخطاء الطباعة ، في حين اننا قلّما نجد مثل هذه الاخطاء في كتاب انكليزي مثلا .

صفوة القول ان الحروف العربية بحاجة الى تطوير يجعلها تواكب متطلبات المطبعة والكتابة الآلية . وقد يلوح في الافق حل يبدو للوهلة الاولى سهل التنفيذ ؛ هو أن نكتب ، كما يكتب معظم الامم ، بحروف منفصلة . وهنا يتبدى لنا أمر آخر في اشكال حروفنا يجعل هذا الحل اصعب مما نظن ، ذلك أن بعض حروفنا تطول على امتداد السطر ، وهي آخذة في الطول قليلة العرض حتى لتبدو بعض الحروف المتصلة مجرد مُدّة على السطر يميزها سن او اكثر . فاذا كتبنا بحروف منفصلة ، اي اذا جعلنا حروفنا منفصلة ، صارت كلماتنا آخذة في الطول ، عديمة التناسق الى حد منفّر يُجْعَل العينَ تقرأ كلمة كلمة ، في حين انها ، في اللغات الاوروبية ، قد تستوعب بضع كلمات بنظرة واحدة .

وبهذا الصدد اشير فيما يلي الى حقيقة اسوقها على سبيل الترجيح ، لا اليقين :

في اواخر العصور الوسطى اخذت الطباعة تنتشر في اوروبا ، في زمن كانت فيه القوميات آخذة في التشكل والانفصال عن جسم

الامبراطورية الرومانية . ومع تشكل القوميات اخذت اللغات القومية تنافس اللاتينية وتحاول اثبات وجودها . وكيما تثبت اية لغة وجودها ، لا بد من ان تصير لغة مكتوبة ، اي لا بد لها من ابجدية ، وفي سبيل صياغة اول ابجدية اوروبية ، كان طبيعيا ان يلجأ اولئك الذين وكل اليهم الامر الى الابجدية العربية ، ذلك ان العربية كانت ما تزال لغة العلم والحضارة والفكر والتجارة ، والينبوع الذي ينهل منه كل شارب ، مكرها او مختارا . ويبدو لي انهم اخذوا بعض الحروف العربية ، ولكنهم عدلوها فجعلوها : أولا تمضي من اليسار الى اليمين تمشيا مع طريقتهم في الكتابة ، وثانيا تمتد راسيا لا افقيا ، لتناسب طباعة الحروف منفصلة .

والجدول التالي يبين بعض التشابه في الابجدية العربية والابجديات الاوروبية :

ء (الهمزة)	a	ن	f
ب	b	ق	q
ت	t	ك	k
ج	g	ل	l
ح	e	م	m
ر	r	ن	n
س	c	ي	y

وسواء أُصِحَّ حدسي ام لم يصحّ ، فبصدد اقتراح تطوير للحروف العربية يجعلها اصلح لمواكبة تقنيات العصر الحاضر ، ولا سيما ان دخول الكمبيوتر ميدان الطباعة يستلزم الا تزيد اشكال الحروف عن (٦٠) حرفا ، ارى ان نلجأ في الطباعة الى الحروف المنفصلة ، وان نجعل بعض الحروف المستطيلة راسية لا افقية .

وفي تقديري ان اي تطوير لاشكال الحروف يجب ان يتوافر فيه ما يلي :

اولا : ان اي تعديل في اشكالها يجب الا يبعد بها عن حاضرها ، حتى لا ننسى وقد صارت قراءة هذا الحاضر امرا عسيرا . ويحسن ايضا الا نستبعد الطريقة القائمة في الكتابة اليدوية ، فهي ضرب

من الاختزال طبيعي مألوف دارج ؛ ولكن اي تطوير في الاشكال المطبوعة سيترك بالتدريج آثارا على الاشكال الخطية .

ثانيا : ان مقاييس الحروف ينبغي أن تكون بحيث تستوعب العين الكلمة بنظرة واحدة ، لا أن تقراها حرفا حرفا . وبهذا الصدد يحسن الاطلاع على ما جرى من دراسات عن استيعاب العين . ومن هذه الدراسات ما يشير الى ان العين تنظر الى أعالي الحروف ، فيحسن أن تكون مميزات الحرف في راسه ، كي تراه العين بسهولة .

فاذا نحن عزمنا على إحداث تطوير جديد في ابجديتنا ، فيحسن ان نجعل هذا التطوير يحلّ مشاكل اخرى تتعلق باللغة ، واعني ما يلي :

١ ـ مشكلة الحركات : اي الفتحة والضمة والكسرة والشدة والتنوين . ارى أن تُطبَع حركة كل حرف بعده مباشرة ، كما لو كانت هي نفسها حرفا مستقلا . والاشكال الحالية لهذه الحركات مناسبة، فهي رقيقة دقيقة متميزة تؤدي وظيفتها وتبقى معها الحروف الاصلية في اللفظة واضحة ، فيبقى الثلاثي ، مثلا ، ثلاثيا والرباعي رباعيا .

٢ ـ مشكلة الهمزة : وهذه ارى ان يُتَّخذ لها حرف واحد ثابت يدل عليها ، كما ان للباء والتاء وكل صوت آخر حرفا . والشكل (ء) واضح الدلالة يغني بالغرض . فإن يُقُلْ قائل : ماذا عن همزة القطع وهمزة الوصل ؟ او ماذا عن تخفيف الهمزة الى الف او ياء او واو ؟ نَقُلْ : إن هذا امر يمكن ان يُعَلَّم كما تُعَلَّم قراءة الحروف الشمسية والقمرية او كما يُعَلَّم الادغام ، دون أن يظهر في الكتابة .

٣ ـ مشكلة الاصوات الاجنبية : اننا نعيش في عصر نستورد فيه مضطرين التقنية الاجنبية والفكر الاجنبي ، ونتاجهما وما فيه من خير وشر . وترد علينا مع ذلك مصطلحات تتكرر فيها اصوات ليس لها مقابلات في العربية . فاذا عمدنا الى تحويلها الى اصوات

نألفها . كما نحول (ا) الى بـــاء مثلا ، فقد نبعد بهـــا عن أصلها ، وقد نفقدها بعض دلالاتها . واذا جعلنـــا بعض حروفنا تخـــــدم وظيفتين ، كما نفعل بالحرف(ج)اذ يؤدي وظيفتي الجيم الشاميـــة والجيم المصرية،وقعنا في لبس محير ؛ والحـــل ميسور هو ان ندخل في ابجديتنـــا حروفا تدل على ثلاثة اصوات يكثر تكرارها هي : ﺝ (للجيم المصريـــة) ، ﭖ ، ﭤ .

تبقـــى اصوات اخرى كثيرة لا نجـــد ما يطابقها في العربيـــة ، ولكن تكرارها قليل او لدينا مـــا يقاربها . فان هي فرضت نفسها علينـــا فلا ضرر من اتخـــاذ الصوت مع الشكل الذي يدل عليه . وهنالك ايضا حركات امالة ليس لهـــا مثيلات في العربية . ولا اجـــد في هذه مشكلة ، اذ لا ضير إن تغيرت بعض ملامـــح الالفاظ بانتقالها من لغـــة الى لغـــة .

الخلاصـــــة :

صفوة القول اني ادعـــو الى الكتابة بحروف منفصلة ، ، على ان تمتـــد الحروف رأسيًا لا افقيـــا ؛ والابجدية التي في ذهنـــي على مثل النحو التالي :

حروف المد : ا و ى

الحركات : ◌ ◌ّ ◌ ◌ً ◌ٌ ◌ٍ

الاصوات : ء ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه

والاصوات المستجدة ﺝ ﭖ ﭤ

وهـــذه تكون بمجموعها (٤١) شكلا .

ولست ادعي انـــي جئت بفصل الخطاب او بما لم تات بـــه الاوائل ولا الاواخر ، بل اني اظن ان لـــو عرض رايي على ذوي اختصاص فقد يجدون فيه ما يمكن ان يخرج منه ابجديـــة عربية اصلح . وليس المهـــم اشكال الحروف بذاتهـــا ، فما دامت متميزة واضحة ، ومـــا دامت مجرد تطوير للأشكال الدارجة ، فـــلا ضرر ولا ضرار .

ولكـــن الا تنطوي الكتابة بحروف منفصلة على مشاكـــل غـــير منظورة ؟ قـــد ينشأ ميل الى فصل حروف الجـــر والعطف وال التعريف عن الالفاظ التي يتصل بهـــا . وارى الا نشجع ذلك ، استبقاءً لطبيعـــة الكتابة العربية واستبعادًا للكلمات القصيرة التي توامهـــا حرف وحركة . وفي تقديري ان اثبات الحركـــات في الكتابة سيكون حافزا على اتقـــان اللغـــة واستقرار الالفاظ على صيغ موحدة .

وبعـــد فانا على يقين أن هـــذا الذي اطرحه ، بعجره وبجـــره ، كما يقولون ، سيذهب، كمـــا ذهبت عشرات الاقتراحات غيره ، طـــي النسيان . ولكن السنا نبذر البذرة ثـــم اذا هي بعد حين نبتة ، فشجرة ؟ من يدري ؟ لعـــل اقتراحا يكون بذرة ، ثم يصير نبتـــة ، ثم تكبر النبتة ، فتصير شـجرة ثمرها حلـــو وظلها ظليل .

د. أحمد سليمان